فكرة الواقعانية ومفهوم "الإنسان"

تأليف: مارتن هيدغر

ترجمة وتعليق:
د. عمارة ناصر*

ملخص وتقديم:
هذه ترجمة للفصل الثاني من كتاب هيدغر:"الأنطولوجيا، هرمينوطيقا الواقعانية"[1]، وهي محاضرته التي ألقاها سنة 1923 بجامعة فرايبورغ– إن– بريسغو (*Fribourg-en-Brisgau*)، عبر سلسلة من الدروس، والتي تعتبر من أهم الإرهاصات الأولى لكتاب "الكينونة والزمان" (*Sein und Zeit*)، حيث كان هاجسه في هذه الفترة هو تبيين الحياة الواقعانية للدزاين من خلال هرمينوطيقا مطعّمة بالفينومينولوجيا.

حيث إن موضوع البحث الهرمينوطيقي الممارَس في هذا النص هو الدزاين الخاص من خلال مساءلته في خاصية كينونته، في سياق الإمكانيات الزمانية للكينونة (والتي يسميها هيدغر بالوجوديات (*Existentiaux*)، والتي لا تُبيّن نفسها إلا في المعيش

* قسم الفلسفة، جامعة مستغانم، الجزائر.

[1] *Martin Heidegger, « Ontologie, Herméneutique de la factivité », Traduit de l'allemand par : Alain Boutot, éd. Gallimard, Paris, 2012. PP :42-56.*

أي كحياة واقعانية تتضمن خطابا متوسطا وحشوا كلاميا فيهما يعيش الدزاين ومن خلالهما يُفهم، ولكنهما أيضا القناع الذي يختفي خلفه الانشغال بالدزاين.

تهدف الهرمينوطيقا الهيدغرية إلى إيقاظ الدزاين في الحاضر الذي هو في "الوهلة الأولى"، في "نحن"، في "الكينونة– مع الآخرين"، ويسمي هيدغر هذا "الحاضر للوهلة الأولى" "اليوم *Das Heute*"، ففي اليومي "*L'aujourd'hui*" نكون أقرب إلى الكينونة في حياتها الخاصة في كل مرة، في الحياة الواقعانية "*Faktisches Leben*". وعليه فإن الإمكانية الأساسية لمقاربة هذه الكينونة في يوميتها هي "ملاقاتها" (مصادفتها) بما أنها إمكان عرضي "*Contingence*"، يمكنه ألّا يكون.

في "اليومي" تُحدِّد الواقعانيةُ الكينونةَ التي نكونها نحن أنفسنا، كينونة ملموسة، كما هي في كل مرة، إذ "إن الواقعانية هي خاصيةٌ للحياة، والتي من خلال ارتباطها باللحظة الحاضرة، تتملص من القبض النظري، إنها تُعيّن "كيف" هي الحياة"، إن الولوج إلى هذا الـ"كيف" لا ينفتح في المواجهة النظرية، ولكنه ينفتح داخل المعيش وتجربة الواقعية الحيّة، التي تنبع منها نظرة يقِظة للظواهر تريد أن تفهم مضامين وتعابير عالم الحياة وتقترب من "الواقعاني" دون إدراكه ومعرفته بشكل كامل"[1]. ويستعين هيدغر في مغامرة الولوج إلى الحياة الواقعانية للدزاين، في هذا النص، بأوغسطين، لوثر، شبنغلر، دلتاي، ريكر، ناتروب...، من أجل تدعيم المقاربة الفينومينولوجية التي تتطلبها حالة تبيين الدزاين.

[1] *Ina Schmidt, « La vie comme défi phénoménologique », in : Sophie-Jan Arrien, Sylvain Camilleri, « Le jeune Heidegger (1909-1926): herméneutique, phénoménologie, théologie », éd. Vrain, Paris, 2011, p.127.*

نص هيدغر:

عندما نحدّد دلاليا موضوع الهرمينوطيقا في: الواقعانية[1] = كلّ مرةٍ هو الدزاين الخاص بنا، فإننا نكون قد تَفادينا بشكل أساسي الحديث عن الدزاين "الإنساني" أو "كينونة الإنسان".

إن مفهومات "الإنسان" تعني: **1**) كائن حيّ وُهِب عقلا، و**2**) الشخص والشخصية، المولودان في إطار الخبرات الموجهة في كل مرة في سياقات موضوعية محددة ومعطاة مسبقا في العالم. المفهوم الأول يندرج ضمن السياق الواقعي الذي يشير إلى سلسلة موضوعية: نبات، حيوان، إنسان، شيطان، إله. (لسنا بحاجة هنا لأن نفكر بمقاربة علمية وبيولوجية خاصة بالمعنى الحديث للكلمة). المفهوم الثاني يتجلى في إطار التفسير المسيحي للتركيبة الأصلية للإنسان بوصفه مخلوقا من الإله، تفسير موجه بتعاليم العهد القديم. يتعلق الأمر في كلٍّ من المفهومين بتثبيت العناصر التي تدخل في تكوين شيء معطى مسبقا ننسب إليه، انطلاقا من هذه العناصر،

---

[1] الواقعانية (*Faktizität*): من الكلمة اللاتنية ***factum*** وتعني الواقعة، وهي في الفلسفة تعني خاصية ما يوجد بطريقة عرضية (طارئة) الإمكان، دون تبرير كافٍ له. وكان سارتر قد عرّف الواقعانية المرتبطة بما هو لذاته، في "أنها العلاقة الرابطة بين ما هو–لذاته والعالم وماضي ما هو– لذاته، فالواقعانية هي التي تمكننا من أن نقول إن ما هو–لذاته يكون أو يوجد. وواقعانية الحرية مثلا هي كون الحرية لا يمكن أن تكون حرة"، أو ما يسميه بـ"حتمية الواقعة"، ويضيف "بدون الواقعانية (الكينونة العرضية)، يمكن للوعي أن يختار ارتباطاته بالعالم."، أنظر:

Jean-Paul Sartre, « Etre et Néant, Essai d'ontologie phénoménologique », Gallimard, Paris, 1943, PP.119-120.

غير أن هيدغر سيعطي للواقعانية مزيدا من الراهنية والزمانية والخصوصانية، "إن الواقعانية تعيّن خاصية الكينونة للدزاين "الخاص" "بنا". إن هذا المصطلح يعني بالتحديد: في كل مرّة هو هذا الدزاين (ظاهرة "الكينونة في كل مرة *Jeweiligkeit* "، يتريث، لا يذهب، الكينونة–هنا–أمام، الكينونة–هنا) بشرط أن يكون الدزاين، في خاصية كينونته، "هنا" بفضل كينونته."، بل يذهب إلى ربطها بالحياة أي بوصفها "الحياة الواقعانية، فيرى أنه "إذا كان بواسطة الـ"حياة" نفهم طريقة ما في "الكينونة"، فإن الـ"حياة الواقعانية" تعني: الدزاين الخاص بنا بوصفه موجودا "هنا" في تعبيرية ما لخاصية كينونته، تعبيرية تنتمي له بفضل كينونته". (المترجم)

طريقة محددة في الكينونة، مما يجعلنا نقول أن هذا الشيء هو نفسه موجود في حالة كينونة– واقعية غير مبالية[1].

يجب أن نحترس هنا من مفهوم "الكينونة الموهوبة عقلاً"، إن هذا المفهوم ليس المعنى الدقيق لعبارة "حيوان عاقل" *ζῶον λόγον ἔχο*. *إن كلمة لوغوس* **λογος** لم تدل أبدا في الفلسفة الكلاسيكية لدى اليونان (أرسطو) على معنى "عقل"، ولكن دلّت على معنى خطاب، حوار، فالإنسان إذن هو كائن له عالمه المؤسس على الأوليّة الخطابية[2]. ستصبح هذه المفاهيم سطحية في الفلسفة الرواقية، ثم في التأمل والتصوف الهلنستي، ستظهر مفاهيم الحكمة *σοφια*، الإيمان *πιστις* كمفاهيم– أقانيم للوغوس **λογος**.

إن مفهومات الإنسان المستخدمة حاليا مستمدة من مصدرين سيأتي الحديث عنهما أدناه، حيث نستأنف فكرة الشخص بالارتباط مع كانط والمثالية الألمانية أو بإحياء تيولوجيا العصور الوسطى.

1. مفهوم "الإنسان" في التراث الإنجيلي:

إن شرح فكرة الإنسان كشخص – وهو مفهومٌ حاضر في العبارة اليونانية "حيوان عاقل" *ζῶον λόγον ἔχο* – يردُ في الفكرة الموجِهة لمقطع أصبح كلاسيكيا، لاعتبارات عديدة، بالنسبة للتيولوجيا المسيحية: سفر التكوين، 1، 26، في (السبعون): "قال الرب: فلنجعلْ الإنسان على صورتنا وشبهنا". إن كلمتيْ الشخص *εικων* والشبه *ομοιωσις* تأخذان معنى متطابقا تقريبا.

(إن فكرة الإله هذه تتضمن على نظرةٍ تُجاه البشر، هي موقف ديني. لمعرفة النظرتين. أنظر: كوهن *Kuhn*: كينونة (طبيعية، *ουσια*) — كينونة "شخصية"

[1] وهي الحالة التي تستوجب اليقظة (المترجم).

[2] في سداسي صيف 1924" (إضافة لاحقة لهيدغر).

(υποστασις أقنوم، جوهر) معقول محسوس، "قادرة على تكوين حقيقة حول الإله" وتكوين "محبة له")[1].

إن تاريخ تفسير هذا المقطع من سفر التكوين يبدأ مع القديس بولس *Saint Paul*، في الرسالة الأولى إلى الكورنثوس (*Corthiens*)، XI,7: فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ".

أنظر: الرسالة الثانية إلى الكورنثوس، III,8، رسالة الرومانيين، VIII,29: لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَاكِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ.

مشكلة: ما هي المرأة؟

يقول تاتيان [السوري] (حوالى سنة 150م)، في "خطاب إلى اليونانيين": الإنسان وحده هو صورة الإله وشبهه، ولا أعني بالإنسان الذي يتكوّن كالحيوانات. (ليس بوصفه مخلوقا حيّا ζωον)، ولكنه مَنْ يبتعد عن الإنسانية لكي يقترب من الإله نفسه" (الذي يبتعد كثيرا في هذا الاتجاه)[2]. الطريقتان الأساسيتان لفهم الإنسان محددتان هنا بكل بوضوح.

يقول القديس أوغسطين: "ويقول الرب: "نجعل الإنسان على صورتنا وشبهنا". يجب أن نلاحظ هنا أن هناك اقتران واختلاف بين جميع الحيوانات. لقد قال بأن الإنسان خُلق في اليوم نفسه الذي خُلقت فيه الدواب. في الواقع فإن كل

[1] *Die christliche Lehre von der göttlichen Gnade, 1re Partie, Tübingen, 1868, p.11.*
(المذهب المسيحي في العفو الإلهي).

[2] *Texte und Untersuchungen zur Geschichte der altchristlichen Literatur, éd. Par O.v. Gebhardt et A.harnack, t.IV, cahier1, Leipzig 1888-1893, chap. 15 (68), p.16, 1.13-16.*
(نصوص ودراسات حول الأدب المسيحي القديم)

حيوانات الأرض خُلقت في الوقت نفسه. ولكن بسبب امتياز العقل، الذي جعل الإنسان يُخلق على صورة الإله وشبهه، فإننا نتحدث بشكل مختلف، بعد أن خلص من خلق حيوانات الأرض، بالقول: "رأى الإله أن ذلك جيد"[1].

القديس توماس، "حول نهاية أو حد تكاثر الإنسان، بالنظر إلى أنه صُنع على صورة الإله وشبهه"[2].

لقد قال القديس يوحنا الدمشقي (في الإيمان الأرثوذكسي، الكتاب 2، الفصل 2)، أن الإنسان خُلق على صورة الإله، مما يعني أنه وُهب عقلا، إرادة حرة وقوة بذاته. كذلك، وبعد وصفه بالنسخة، يعني الإله، والموجودات التي فاضت من قوته حسب إرادته، بقي لنا أن نتأمل صورته، يعني الإنسان. الإنسان هو مبدأ أفعاله لأنه يمتلك إرادة حرة والقدرة على التحكم في أفعاله)[3]. إن هذا الطرح يقدم البنية المنهجية الداخلية للعمل **التيولوجي الرئيسي في العصور الوسطى**.

يقول زوينغلي (*Zwingli*): بما أن عينيه (الإنسان) شاخصتين نحو الإله وكلمته، فهذا يدل بوضوح بأنه، بطبيعته، مولود بطريقة ما بالقرب من الإله، ويستمد قوته منه، ويوجد شيء ما يجذبه نحو الإله، كل هذا يؤدي بدون شك إلى أنه خُلق على صورة الإله."[4]

[1] *De Genesi ad litteram imperfectus liber, Migne XXXIV, Paris, 1845, chap. 16,55, p.241.*

[2] *Somme théologique, I, question XCIII, prologue.* (المقدمة)

[3] *Somme théologique, II prologue.* (المقدمة)

[4] *Von Klarheit und gewusse oder unbetrogliche des Worts Gottes, in Werke, t.1, Der deutschen Schriften erster Theil, Zurich, 1828, p.58.* (في وضوح ويقين أو قوة كلمة الرب)

يقول كالفن (*Calvin*): إن الشرط الأول للإنسان قد تمّ تحسينه وجعله سامياً: بأن يكون له الحذر والحكم وحرية التصرف ليس من أجل نظام الحياة على الأرض فقط، ولكن من أجل الوصول إلى الإله وبلوغ السعادة الكاملة."[1]

إن تأويل الشخصية يمرّ من هنا عبر شيلر[2] (*Scheler*) وعبر المثالية الألمانية.

إن شيلر نفسه يتحرك داخل إطار الإشكاليات القديمة، التي لم تعد صالحة، إذا لم تكن إلا التصفية الفينومينولوجية للتفسير وللرؤية التي تجعل من تلك الإشكاليات أكثر تأثيرا.[3] إنه يريد أن يحدد "المكان الميتافيزيقي (...)، في كل الوجود، العالم والإله"[4]، "النوع الإنساني". يريد أن ينزع "اللباس التخيلي الأسطوري" عن الفكرة والقبض على الشيء نفسه.[5]

في الفرق بين "الإنسان الطبيعي"[6] لعلوم الطبيعة، "وحدة الخصائص الواقعية المميِّزة"، "النوع الحيواني" من جهة، و"الإنسان التاريخي" من جهة أخرى، "وحدة فكرية يتجلى من خلالها "الإنسان" في علوم الفكر وفي الفلسفة"[7]، إنه ببساطة الفرق الكانطي بين المفهوم الطبيعي والمفهوم العقلاني الذي يعاود الظهور في شكل

---

[1] *J.Calvin, institio, I,15,8.*

[2] *Voir :« Zur Idee des Menschen », 1re éd. In: Abhandlungen und Aufsatze, t.I, Leipzig, 1915, p.319-367. 4e éd. In: Vom Umsturz der Werte, Abhandlungen und Aufsatze, Gesammelte Werke, t.3, Berne, 1955, p.173-195.*

[3] *cf. p.346, 186.*

(في كل الهوامش اللاحقة لهذا النص يشير الرقم الأول للمقطع في الطبعة الأولى والثاني للمقطع في الطبعة الرابعة)

[4] نفسه، ص: 319، 173.

[5] نفسه، ص: 320، 173.

[6] نفسه، ص: 322، 174.

[7] نفسه، ص: 323، 175.

باهت. "(...) خطأ أنتروبولوجي"[1] من وجهة نظر القصدية والتصورية. الكلّ يُرى من "الخارج"، "الفلسفة الملموسة" !!

"ما هو الإنسان"، معنى، رؤية، هرمينوطيقا هذا السؤال ! إنه "قصد وحركة "التعالي" نفسه"[2]، كينونة تبحث عن إله، "بين الإثنين"، "حدٌّ"". (حيوان– إله، الكائنان المستعادان خارجا)، "أبديٌّ يذهب إلى الما بعد"[3]، "مدخل للعفو والرحمة"[4]، "(...) الفكرة الوحيدة المعقولة عن "الإنسان" هي من جانب إلى آخر "ثيومورفي، المتشكل إلهيا"، فكرة إنسان ما يصبح صورة متقنة وحيّة عن الإله، واحدة من رموزه، واحدة من صوره الخيالية المضاعفة إلى اللانهائي على جدار الوجود الكبير"[5]. بوضوح: منظر شامل !، رسم، رواية !

لقد قام شيلر باسترجاع التيولوجيا القديمة حسب الظروف (أنظر كذلك: الغنوصية الفالنتينية: الجسد *σαρζ* النفس *ψυχη* الروح *πνευμα* ، ولكن بينما كان التيولوجيون القدامى يَعرفون، على الأقل، أن الأمر يتعلق بالتيولوجيا، فإن شيلر يُدمر الكل بضربة واحدة التيولوجيا والفلسفة. إن هذه المنهجية التي تؤدي إلى غض الطرف عن الواقعاني *Factif*، يُمارسها شيلر في كتابه بدقة كبيرة.

2. المفهوم التيولوجي ومفهوم "الحيوان العاقل":

تتخذ الهرمينوطيقا في كل مرة من الدزاين الخاص موضوعاً تُسائله في خاصية كينونته وبنياته الظاهراتية، في نسقية نطاقية كونية، إنها توجز قطاعا محددا لتوجيه بحث نسقي محدد.

---

[1] نفسه، ص: 321، 173.
[2] نفسه، ص: 346، 186.
[3] نفسه، ص: 347، 186.
[4] نفسه، ص: 348، 187.
[5] نفسه، ص: 349، 187.

لتثبيت نطاق الكينونة، تحديده والقبض عليه اصطلاحيا، تفادينا وسنتفادى من الآن عبارة الدزاين الإنساني والكينونة الإنسانية. إن مفهوم الإنسان يعيق بشكل أساسي، في كلٍّ من هاتين المقولتين التقليديتين، ما يجب أن يأتي من الواقعانية. إن سؤال "معرفة ما هو الإنسان" يحيد عمّا يريد التحدث عنه، باستدعاء موضوع غريب عنه. (راجع: ياسبرس).

لقد تمّ التناول المسبق للكائن الذي هو هنا والذي ندعوه إنساناً، داخل أشكال مقولاتية محددة عندما نعتبره حسب التعبير التقليدي "حيواناً عاقلا". بالأخذ بهذا التعريف كقاعدة موجهة، فإن الوصف التعريفي يتعلق بوجهة نظر محددة دون الاستيلاء على ما يحركه في الأصل.

إن التعريف (حيوان عاقل) ينفصل عن الأرضية التي نشأ منها وعن إمكانية كل برهنة حقيقية[1]، وتأثيره على الفلسفة الحديثة (كانط) محدد بتأويل يعتمد على الدوافع التيولوجية المسيحية. إن معنى أفكار الإنسانية، الشخصية، الشخص، لا يُفهم إلا انطلاقا من هنا، أي بوصفها مضادات تيولوجية مصورنة محددة. (راجع: كانط، الدين في حدود العقل، 1793).

لقد فهم شيلر[2]، بشكل غير دقيق، المعنى الأساسي لفكرة الشخص عند كانط الذي وصف الشعور بالاحترام كـ"استثناء غريب" دون أن يدرك أن فكرته الخاصة حول الشخص لا تختلف عن فكرة كانط إلا في كونها أكثر دوغمائية ليخلط أكثر بين الفلسفة والتيولوجيا، يعني أنه خرّب التيولوجيا وأضرّ بالفلسفة وبإمكاناتها في المساءلة النقدية.

---

[1] *Cf. Aristote, Ethique à Nicomaque, A, 6.*

[2] *der Formalismus in der Ethik und die materiale Wertethik, in Jahrbuch für Philosophie und phänomenologische Forschung, 2,1916, p.266.*

عندما يُعرّف شيلر الإنسان بوصفه "قصدا وإشارة "للتعالي" نفسه"، وبوصفه "كينونة تبحث عن الإله"، فإن هذا في الأساس لا يختلف عن العبارة الكانطية "اكتساب الاحترام من أجل" بمعنى كينونة– مفتوحة من أجل الواجب بوصفه طريقة لمواجهة القانون الأخلاقي.

إن ما يدلّ على مدى ارتباك شيلر في مواقفه الأساسية هو، من بين أشياء أخرى، أن فكرته حول الشخص، حتى في صيغتها الحرفية، هي بالضبط الفكرة نفسها التي ساهم الإصلاحيون في إظهارها في مواجهة النزعة الأرسطية للسكولائية السطحية (مدرسية القرون الوسطى)، يراجع: زوينغلي (*Zwingli*)، كالفن(*Calvin*)، زوف(*Sauf*) الذي لم يَرَ أهمية في التمييز، نظرياً، بين وضعيات متعددة، أشكال متعددة لكينونة الإنسان (وضع الاكتمال، وضع الفساد، وضع المجد، وضع الشكر) وأن هذه الأوضاع ليست قابلة للتغير فيما بينها بشكل اعتباطي.

عندما قال شيلر: "وحده لوثر (...) من عرّف (الإنسان) ضمنيا كـ"جسد"[1]"، فإنه، في الحقيقة، يخلط هنا بين لوثر والنبي إشعياء (40، 6). يراجع: لوثر: "إن الجسد يعني الإنسان في كليته بعقله وكل ما وُهب طبيعياً"[2].

هذا في وضع الفساد، المحدد كلية منذ البداية، انطلاقا من الجهل بالإله، الأمن، الشك، كراهية الإله، هي علاقة سلبية مع الإله وتقف ضد الإله. هذه العلاقة بما هي عليه هي علاقة مؤسسة.

[1] نفسه، ص: 325، 176.

[2] *In Esaiam prophetam Scholia praelectionibus collecta, multis in locis non parva accessione aucta, 1534, chap.40,Werke (éd.d'Erlangen). Exegetica opera latina XXII, éd.H.Schmidt, Erlangen et Francfort, 1860, p.318.*

إن الرؤية التي تحدد الإنسان في تعريفه بـ"حيوان عاقل" تراه في منظور كائنات أخرى هي هنا معه في شكل الحياة (النباتات، الحيوانات)، وتراه ككائن يمتلك الكلمة *λόγον ἔχον* ، يقارب عالمه خطابيا ويناقشه، عالمه موجودٌ أوّلياً هنا في عمومية الممارسة *πραξις* ، والانشغال بالمعنى الواسع. إن التعريف اللاحق "حيوان عاقل"، "حيوان معقول"، بمعناه الحرفي والمهمل، يحجب القاعدة الحدسية التي ينبثق منها تحديد الكينونة – الإنسانية.

إن هذا التعريف، الذي هو طرحٌ وقضية في الوقت نفسه، سيصبح، في الفهم المؤسس داخل الوعي المسيحي للدزاين، أساس التحديد التيولوجي لفكرة الإنسان المتولدة من فكرة الشخص (المعقول= القادر على المعرفة). يجب على التحديد التيولوجي أن يشتغل وفقا لمبدأ يسمح بمعرفته، يعني العودة إلى الوحي، والكتاب المقدس قبل كل شيء. إن الفكرة الموجّهة التي نستخرجها هي هذا المقطع في سفر التكوين (I، 26):

"και είπεν ο Θεός· ποιήσωμεν άνθρωπον κατ ' εικόνα ημετέραν και καθ ' ομοίωσιν ، "قال الرب: فلنجعل الإنسان على صورتنا وشبهنا". إن الكينونة الإنسانية محددة مسبقا، وفق تعاليم الإيمان، ككينونة خلقها الإله على صورته. إن التحديد الأساسي للكينونة الإنسانية–كتجريد مستمد من التعريف اليوناني المستعاد خارجا بسطحية– يتبع فكرة الإله المكرّسة هنا والتي تلعب دورا معياريا.

بالإضافة إلى ذلك، بالنسبة للإيمان، فإن الإنسان، كما هو في الزمن الحاضر، قد قام "بالسقوط"، أو بشكل دقيق تمّ إنقاذه وإحياؤه من طرف المسيح. إن السقوط والخطيئة هي حالة لا تُنسب إلى الإله، ولكن من حيث وضع الإنسان نفسه فهو ملزم إذن بأن يكون خيِّراً (*bonum*) بوصفه مخلوقاً من الإله، ولكن وبما

أن كل شيء مخلوق بواسطته، فإنه يمكنه السقوط في الوقت نفسه. إن وضعية الحالة الراهنة نفسها تتبع في كل مرة التجربة الأصلية لفعل الوقوع في الخطيئة، وتتبع هذه التجربة بدورها في كل مرة أصالة ولا أصالة العلاقة مع الإله.

إن هذه التجربة المركبة المنغلقة على ذاتها هي القاعدة التي ترتكز عليها الأنتروبولوجيا التيولوجية المسيحية، إنها تغيّر نفسها كل مرة وتبقى كما هي.

في الفكر الفلسفي الحديث حول الشخص، تمّ تحييد العلاقة مع الإله المؤسسة لكينونة الإنسان في شكل معايير وقيم. إن "الأنا المركزي" فعل مؤسس لهذا النوع من الأفكار، إنه مركز الأفعال (مبدأ انطلاق(ἀρχή)).

إذا كان من الواجب إقصاء هذه التحديدات التيولوجية والدوغمائية الأساسية في تأمل فلسفي جذري للكينونة الإنسانية، فيجب إذن أن نبتعد عن كل توجيه متضمن أو مستتر لفكرة محددة للكينونة الإنسانية، (ليس هذا فقط، ولكن المهمة الأنطولوجية الإيجابية تمنع الاعتماد على هذا الموقف بسبب أن هذا الأخير يمتلك مسبقا إجابة جاهزة).

إن مفهوم الواقعانية: كلُّ مرة هو فيها الدزاين الخاص بنا، لا يمنع ما يذهب من البداية في اتجاه فكرة "أنا"، الشخص، الأنا المركزي، مركز الأفعال. في تحديدات "الخاص"، "التملك"، "المملوك". حتى عندما نستخدم مفهوم "الذات نفسها" فإن ليس له أصل "إنّي" (من الإنيّة). (القصدية ومبدأ انطلاقها ἀρχή).

3. الواقعانية بمعنى الدزاين في كينونته الخاصة بنفسها – في– كل – مرة: مفهوم "اليوم"[1](*Das Heute*):

إن موضوع البحث هو الواقعانية، يعني الدزاين الخاص المساءَل في خاصية كينونته. من المهم وقبل كل شيء ألاّ نغفل "الموضوع" الراهن، ما يعني في لحظة

[1] عنوان هيدغر: "هرمينوطيقا الوضع".

واحدة، من بداية انطلاق الشرح الهرمينوطيقي. يجب أن نتمسك بالمؤشرات المحتواة في مفهوم الواقعانية في طريقه إلى التحقق. إن الدزاين الخاص هو ما يوجد فقط وبشكل دقيق في الـ"هنا" التي في كل مرة هي له.

إن تحديد "الكينونة الخاصة بنفسها– في– كل – مرة" هو مفهوم "اليوم"، الإقامة الماكثة في كل مرة في الحاضر، الحاضر الخاص في كل مرة. الدزاين بوصفه تاريخانيا، الحاضر الذي هو له. الكينونة في العالم، المعيش انطلاقا من العالم، الحاضر– له اليومي).

لقد أُحيلت انطلاقة التأويل إذن، بواسطة الموضوع نفسه، إلى "اليوم" في تحديده. إذ لم يمنع "اليوم" التقليل من قوة هذه الإحالة فقط، بل من إمكانية الإمساك بالواقعانية التابعة للأصالة التي بواسطتها يتمّ تتبع هذه الإحالة حتى تتحقق نتائجها القصوى. سنقوم بإظهار المقولات الخاصة للدزاين والتي تُفعّله وتُوقظه، في حالة التبيين العمومي[1] لليوم. إن مفهوم "اليوم" بالمعنى الأنطولوجي هو: حاضر ما هو كائن من أول وهلة، الـ"نحن"، الكينونة– معا– هؤلاء–مع–أولئك، "زماننا".

يمكن للإحالة إلى اليوم أن تَضعف، وبالتالي أن تتموّه في شكل سوء فهم أساسي، بطريقتين: 1) إذا باشرنا القبض الهرمينوطيقي على اليوم، نزولا عند ما تفرضه الإحالة دائما، بالوصف المطوّل والمفصل، وبطريقة مسلية كذلك، لما نسميه "النزعات الأكثر إثارة" للحاضر. هذا من جهة 2) ومن جهة أخرى، إذا استخرجنا من الإحالة إلى الدزاين الخاص في كل مرة، الإشارة إلى الانغلاق، المريح في العمق، داخل موقف عبثي ومجتر حول الأنا المركزي المعزول. هنا كما ههنا: فضول عالموي، "ثقافة"، نزعة مركزية للأنا.

[1] في النص الألماني *Das öffentliche*، (العمومي، الجماهيري). (المترجم).

لا يطمح الشرح الهرمينوطيقي إلى تقديم تقرير عالموي حول "ما يحدث بشكل مهم". إن "اليوم"، في أيامنا هذه، هو اليومياتية، أن نُمتص وندخل في العالم، أن نتحدث من خلاله، أن نكون منشغلين. إن الإمكانيتين اللتين تقودان إلى تضليل التحليل منذ الانطلاقة ليستا طارئتين، ولكنهما تتقاطعان دائما عندما تتبعان الطريق الحقيقي لهما. إن انتشار الهرمينوطيقا هو باستمرار في صراع مع إمكانية التأرجح لجهة أو لأخرى.

لقد أعطى عمل كيركغارد دوافع قوية للشرح المعروض هنا. لكن الافتراضات، نقطة الانطلاق، الطريقة التي نجعل بها الشرح والهدف المتبع مكتملين، هذا كله يختلف اختلافا جوهريا، لأن هذا يجعل الأشياء أكثر سهولة. في الأساس، لم يطرح عليه ذلك إشكالا إذ لم يكن إلا تفكيره الخاص. لقد كان تيولوجياً، والإيمان يسكن في داخله، وعليه فقد كان خارج الفلسفة أساسا. اليوم، الوضع مختلف.

من الحسم تناول (مفهوم) "اليوم"، في بداية التحليل، بطريقة يصبح فيها شيء ما كخاصية للكينونة مرئيا. لأن هذه الخاصية هي ما ينبغي توضيحه من جانب لآخر ونقله على هذا النحو داخل الحلقة الفينومينولوجية للواقعانية. لا يمكن إلا أن تثار قضية بشكل مباشر هي معرفة ما إذا تحققت خاصية الكينونة، المفهومة في بداية التحليل، فعليا "اليوم".

لا يمكن لل"يوم" أن يكون محددا كليا، في خاصيته الأنطولوجية، بوصفه كيفية للواقعانية (الوجود)، إلا إذا أصبحت الظاهرة الأساسية للواقعانية، أعني "الزمانية" (ليس كمقولة وإنما كوجودانية)، مرئية بشكل واضح.

في الوقت الحاضر، نقول بشكل سابق لأوانه عن هذا الموضوع: أن الدزاين يظهر بشكل عمومي (*Publiquement*)، إن له إعلانه وطريقته في الرؤية. يتحرك الدزاين (ظاهرة أساسية) في طريق محددة لخطاب يدور حول نفسه، الحشو الكلامي

(مصطلح تقني). إن هذا الخطاب "حول" نفسه هو الطريقة العمومية التي يُقبض بها على الدزاين ويُوقف. إن الحشو الكلامي ينقل تصورا محددا يمتلكه الدزاين مسبقا: هو هذا الـ"بوصفه ماذا" يقترب من نفسه خطابيا. وبالتالي فإن هذا الحشو الكلامي هو الشكل الذي يكتسب من خلاله [الدزاين] حالة ما لتبيين ذاته بذاته. إن حالة التبيين هذه ليست نفسها شيئا سيُضاف إلى الدزاين، مُعلَقاً به من الخارج، ولكنه شيء يصل من خلاله الدزاين إلى نفسه، حيث يعيش، أو ما يُوجه حياته. (إنه كيفية كينونته[1]).

تتصف حالة تبيين "اليوم"، زيادة على ذلك، بأنها لا تعبّر عن نفسها في شكل تعبيري، إنها ليست حاضرة، إنها شكل الدزاين الذي يُوجّه حياة الجميع. لأنه يُشكل بدقة الإعلان والكينونة– في– المتوسط (*L'être–dans–la–moyenne*) التي فيها يمكن لكل طرف أن يتحرك بسهولة مع الآخرين متخذا جزءا جاذبا، إذ لا شيء مما يحدث يُفلت منه. يتحدث الحشو الكلامي عن كل شيء مُظهراً فرادة عدم القدرة على إحداث الفروق. على اعتبار أن الإعلان هو هذه الكينونة– في– المتوسط، هذه "الوهلة الأولى" غير المؤذية، "من الوهلة الأولى" بالمعنى "الأكثر استعمالا"، إنه شكل كينونة "النحن": نحن نقول، نحن نسمع، نحن نحكي، نحن نشمّ، نحن نتوقع، نحن نوافق على... إن الحشو الكلامي لا ينتسب إلى أحد، ما من أحد مسؤول،: نحن نقول ذلك.

"نحن" نكتب كتباً انطلاقا مما سمعناه (كإشاعة). هذا "النحن" هو "الضمير" الذي يطارد الدزاين الواقعاني كشبح، إنها طريقة خاصة تؤثر حتما على كل واقعانية، ولها تدفع كل حياة واقعانية ضريبتها.

[1] تم تشطيبها من طرف هيدغر مع وضع عبارة "سابق لأوانه".

تحدد حالة التبيين اعتياديا المجال الذي من خلاله يطرح الدزاين أسئلته بنفسه ويصيغ متطلباته. إنه يعطي للـ"هنا"، للـ (*Da*) في الدزاين الواقعاني توجيها خصائصيا، إنه يحدد، بطريقة محددة، الكيفية التي يرى بها الأشياء وإلى أي مدى يمكنه ذلك. إن الدزاين يتحدث عن نفسه، إنه يرى نفسه بطريقة أو بأخرى وعلى الرغم من أنه ليس هنا إلا قناعاً يميل إليه بنفسه حتى لا يرتعب من صورته المرئية. سوزٌ واقٍ ضد "الـ" قلق". إن هذه النظرة التي تُعطَى له بنفسه هي القناع الذي يلاقي تحته نفسه، تحته يتقدم كما "كان"، وتحت قناع حالة التبيين العمومي، يُعرض الدزاين كحيوية قصوى (بالنظر إلى هذا الانشغال).

مثال: لقد كتب فان غوغ (*Vincent Van Gogh*) يوما إلى أخيه[1]، في فترة نقدية حيث كان منشغلا بمساءلة الدازين الخاص به: "أُفضّل الموت بشكل طبيعي على أن تقوم الأكاديمية بإعدادي...". نحن لا نقول هذا لنزيد في الرثاء الذي نسمعه هنا أو هناك حول حالة عدم الرضا في العلوم اليوم. متسائلين: وماذا حدث؟ لقد اشتغل، رسم لوحاته ليقول ما في أعماقه، وغرق في الجنون ليجبَر على الشرح مع الدزاين.

اليوم: إن وضع العلوم والجامعة أصبح إشكالياً. ماذا حدث؟ لا شيء. نكتب كتيّبات عن أزمة العلوم، وعن كفاءة العلم. ما نقوله عن هذا نقوله عن الآخر، ونقول عنه كما نسمع عنه، سننتهي من العلوم. توجد اليوم أدبيات مخصصة للكيفية التي يجب أن نتناولها بها. ما عدا ذلك لا حدث.

إن الممثل الخصائصي لحالة تبيين اليوم يوجد بالخصوص في الوعي الثقافي لعصر ما، الحشو الكلامي للروح العمومي المتوسط، اليوم هي: "الروحانية" الحديثة.

[1] *Lettre du 15 octobre 1879, in Van Gogh, Briefe an seinen Bruder, réunies par J.Van Gogh – Bonger, trad.all.L.Klein-Diepold,vol.1, Berlin, 1914, p.157.*

إن هذا الوعي يعيش في أشكال محددة للتبيين. ويهمّنا، فيما سيأتي، شكلان من هذه الأشكال: 1) الوعي التاريخي (الوعي الثقافي)، 2) الوعي الفلسفي.